

تفسير البحر المحيط

@ 431 @ مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزل { وَعَدَّ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ } . وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال بعضهم
ما أتى علينا يوم نأمن من فيه ونضع السلاح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم) : (لا
تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً لسمعته حديداً) . قال
ابن عباس : وهذا الوعد وعده الله أممته محمد صلى الله عليه وسلم) في التوراة والإنجيل .
والخطاب في { مِّنْكُمْ } للرسول وأتباعه و { مِّنْ } للبيان أي الذين هم أنتم وعدهم الله
أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء . وقوله { فِي الْأَرْضِ } هي البلاد
التي تجاورهم وهي جزيرة العرب ، ثم افتتحو بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة
وملكوا خرائنهم واستولوا على الدنيا . وفي الصحيح : (زويت لي الأرض فأريت مشارقها
ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي عنها) . قال بعض العلماء : ولذلك اتسع نطاق الإسلام
في الشرق والغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال . قلت : ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام
معظم العالم في المشرق كقبائل الترك ، وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد
الهند . .

{ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مَن قَبْلِهِمْ } أي بني إسرائيل حين أورثهم مصر
والشام بعد هلاك الجابرة . وقيل : هو ما كان في زمان داود وسليمان عليهما السلام ، وكان
الغالب على الأرض المؤمنون . وقرء { كَمَا اسْتَخْلَفَ } مبنياً للمفعول . واللام في {
لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ } جواب قسم محذوف ، أي وأقسم { لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ } أو أجرى
وعد الله لتحقيقه مجرى القسم فجوب بما يجاب به القسم . وعلى التقدير حذف القسم يكون
معمول { وَعَدَّ } محذوفاً تقديره استخلافكم وتمكين دينكم . ودل عليه جواب القسم المحذوف
وقال الضحاك : هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لأنهم أهل الإيمان وعمل
الصالحات . وقال صلى الله عليه وسلم) : (الخلافة بعدي ثلاثون) انتهى . ونيدر من جرى
مجراهم في العدل من استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الأمويين ، والمهتدين بالعباسيين . .

{ وَلِيَمَّا كَانَتْ لَكُمْ آيَاتُنَا لَكُمْ دِينًا } أي يثبته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإذلال
الشرك وأهله . و { الَّذِينَ ارْتَضَى لَهُمُ } صفة مدح جلييلة وقد بلغت هذه الأمة في
تمكين هذا الدين الغاية القصوى مما أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا
فيها جميع العالم من لدن آدم إلى زمان هذه الملة المحمدية . وقرأ الجمهور {

وَلَا يَدِيدُ لَدُنَّ هُمْ ° { بالتشديد وابن كثير وأبو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف . وقال أبو العالية : لما أظهر □ عز وجل رسوله صلى □ عليه وسلم) على جزيرة العرب وضعوا السلاح وآمنوا ، ثم قبض □ نبيه عليه السلام فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة ، فأدخل □ عليهم الخوف فغيروا فغير □ ما بهم . .

{ يَعْزِدُ وَنَدَى } الظاهر أنه مستأنف فلا موضع له من الإعراب كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال { يَعْزِدُ وَنَدَى } قاله الزمخشري . وقال ابن عطية : { يَعْزِدُ وَنَدَى } فعل مستأنف أي هم { يَعْزِدُ وَنَدَى } ويعني بالاستئناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقاله الحوفي قال : ويجوز أن يكون مستأنفاً على طريق الثناء عليهم أي هم { يَعْزِدُ وَنَدَى } . وقال الزمخشري : وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم □ ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحلّه النصب انتهى . وقال الحوفي قبله . وقال أبو البقاء : { يَعْزِدُ وَنَدَى } حال من { لَا يَسْتَدْخِلُونَ هُمْ ° } و { * لِيبدلنهم } { يَرَبِّ هُمْ ° لَا يُشْرِكُونَ } بدل من { يَعْزِدُ وَنَدَى } أو حال من الفاعل في { يَعْزِدُ وَنَدَى } موحدين انتهى . والظاهر أنه متى أطلق الكفر كان مقابل الإسلام والإيمان وهو ظاهر قول حذيفة قال : كان النفاق على عهد النبي صلى □ عليه وسلم) ، وقد ذهب ولم يبق إلا كفر بعد إيمان . قال ابن عطية : يحتمل أن يريد كفر هذه النعم إذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة . قيل : ظهر في قتلة عثمان . .

وقال الزمخشري : { وَ مَن كَفَرَ } يريد كفران النعمة كقوله { فَكَفَرَتْ بِأَنَّ زَعْمَ اللَّاهِ } { فَأُوْءِدْتِكُمْ الْفَاسِقُونَ } أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة . والظاهر